من شعراء القرن الثاني عشر

الشيخ حسين العشاري

بقلم : الاستاذ عبد الحميد الرحيلي

١ — حياته

كان من الشعراء الذين عاشوا في الفترة المظلمة وهو الشيخ حسين افندي نجم الدين ابو عبد الله كما عبر عنه المرادي في [سلك الدرر] ابن علي بن حسن بن محمد بن فارس العشاري الشافعي ولد ببغداد سنة [١١٥٠] واصله كما صرح هو في بعض قصائده في ديوانه من قرية عشارة على الفرات قرب رحبة مالك . ونص على هذه القرية ايضاً صاحب «مراصد الاطلاع» حيث قال (العشارة قرية من قرى بلد الرحبة) وتبعه صاحب المسك الاذفر العلامة الالوسي فقال « والعشاريون الذين منهم المترجم كانوا يسكنون بلدة على الفرات قرب رحبة مالك الواقعة بين الرقة وعانة يقال لها العشارة لسكنى العشاريين وهي اليوم مسكونة ايضاً إلا ان الدهر انكحها الخراب فافترشها .. واغرى بها ظلم الاعراب فافترسها ويوشك ان لا يبقى منها إلا الاطلال والرسوم » .

٢ — علمه

كان هذا عالماً كما كان شاعراً وناثراً وزاهداً حتى لقب في بغداد وبين اقرانه بالشافعي الصغير وقال العلامة الالوسي عنه كان من اعلم اهل عصره بفقه الشافعي وقال عنه في سلك الدرر للمرادي الشيخ الامام العالم الاديب الاريب الفطن النظام صاحب الكمالات الشائعة والنوادر الذائقة ولد سنة [١١٥٠] وقرأ القرآن واشتغل بالتحصيل والاخذ فقرأ ببغداد واخذ العلم عن مشايخ متعددين منهم ابو الخير عبد الرحمن السويدي وتفوق ونظم الشعر، وقال الالوسي قرأ اكثر علم المنقول على العالم عبدالله السويدي وعلى ولده عبد الرحمن واكثر المعقول على السيد صبغة الله الحيدري الصفوي ... وكان محبوبا عند وزير الوزراء سليمان باشا الكبير فارسله مدرساً الى البصرة فتوفي فيها قبل ان يحول الحول في حدود الالف والمأتين (١) فبكت عليه المدارس واستوحشت ربوعها الاءانس ولم يعقب من الذكور ولداً وقال في سلك الدرر كان عالماً شاعراً اديباً حسن الخط كتب كتبا متعددة تنوف عن العد والحد . وله تأليفات منها حاشية على شرح الحضرمية لابن حجر ويقول عنها الالوسي فاقت اكثر الحواشي بحسن عبارتها ولطف اشارتها وللطلبة اليوم فيها رغبة ، ويقول الالوسي ايضاً وله تعليقات نفيسة على شرح جمع الجوامع للعلامة المحلي وتعليقات على كثير من الكتب النحوية ، وله ديوان شعر ارق من دمعة الصب والطف من وابل غب الجدب . ويقول المرادي كان له تضلع كلي في سائر العلوم معقولها ومنقولها . . وكان مشهوراً بحسن الاملاء والانشاء والنظم البليغ كتب الي حصة منه بخطه ويقول الالوسي كان له خط يعجز ابن مقلة ولم يزل مشغولا بالكتابة في اغلب الاوقات حتى كتب مالا يحصى من الكتب المعتبرات وقد رأيت بخطه تحفة ابن حجر بجلد لطيف جداً كاد يكون معجزاً في بابه حجما وحسن خط (٢) وصحة .

٣ — شعره

عثرت على نسخة من ديوانه طي كتب المكتبة العامة قسم الخطيات التي الحقت حديثاً بمكتبة دار الآثار وهي نسخة جيدة الخط يظن انها كتبت في ايام حياته (إذ لا يوجد فيها قال ـ رحمه الله ـ وانما قال .) وقديمة ايضاً وآخر نظم له فيها في سنة [١١٩٣] هـ كما في [ص] [١١٧] من النسخة وشعره على طريقة شعراء الفترة المظلمة في المواضيع لا يخرج عن مدح الصحابة والنبي وآل البيت والاولياء والعلماء والاصدقاء ومراسلاتهم ومدح الامراء والاشراف من بعض اهل عصره وفيه تخميس وتشطير لجملة من المدائح كالبردة وغيرها وفيه وصف جيد وغزل عذب ولكنها قليلان وفي آخر الديوان مجموعة كبيرة من الشعر

---

(١) يظهر لنا من جملة قرائن انه توفي في سنة الف ومائة واربع وتسعين لان الوزير ولاه بهذه السنة التي توفي فيها .

(٢) كان له في خزانة كتب جامع مرجان التي الحقت بخزانة الاوقاف جملة من الكتب التي نسخها بيده أو الفها بنفسه ومما له هناك من تآليفه رسالة في بحث الامامة كما ذكر ذلك الاستاذ الاثري .

مرتبة على حروف الهجاء كلها في مدح النبي وآل البيت وجملة من الصحابة وفي اثناء الديوان جملة من البنود تشهد له انه ابن عذرتها وان له النصيب الأوفر في سبك عباراتها وصوغ جملها المحبوكة البليغة ولا يخفى بأنه يكاد أن يكون أقدم من نظم في هذا الباب بهذه الصورة المتقنة وفي الديوان ذكر لجملة من رجال العراق في ذلك (١) العهد . أما اسلوبه فجيد في جملة من قصائده وركيك في اخرى . ويظهر من مقدمة الديوان انه كان مضنوكا جداً وكان بائساً فقيراً معدما ويكفيك انه كان مع علمه هذا وأدبه يعيش بخط يده واليك بعض ما قال في المقدمة (. . مع اني في زمان تباً له وتب. ما احقر بأن يدعى أبا لهب .. قدّم كل ركيك ضعيف . ورأس كل دني سخيف . واذل كل سري شريف . . والى الله اشكو من زمان اذا مرّ بنائبة حرض . وان نظر الى كريم اعرض . . ينظر إليّ شزرا وينفق على نزرا . ويرهقني من امره عسرا . في فتية مردة . كأنهم خنازير وقردة . قلوبهم طاغية . وأيديهم باغية . وألسنتهم لاغية . وطباعهم رديئة . واصولهم باهلية . وانفسهم دنية ... الخ وهي ديباجة طويلة كلها ذم لأهل عصره ووصف لشقائه وبؤسه ويظهر لنا هذا الضنك ايضاً من جملة اشعاره في الديوان فقد ذكر في الديوان قصيدة طويلة له ارسلها الى الحاج سليمان الشاوي الى مكة حينما توجه اليها وكان قد كلفه بنسخ شرح المواقف ومما جاء في هذه القصيدة وهي طويلة يعتذر بها عن تأخر استنساخ الكتاب المذكور :

فجاءنا برد شديد قر ... ما للفتى من بأسه مفر
أشل منا الكف والأصابعا ... واخرس الألسنة المصاقعا
وكسر الجليد كل آنية ... واغمدت يا سلم كل ثاغية
ولم يزل يسوسنا بنقمته ... كأنه الحجاج في رعيته
ثم انقضت ايامه المتسقة ... وما كتبنا منه خمس ورقة
وبعد ما ادبر عنا ورحل ... وشمس عزمي قد علت فوق زحل
شددت ازري موقداً نبراسي ... اكتب كراساً على كراس
ولم ازل اكتب بالحواشي ... حتى وهت من نصب حشاشي
وكلما اذكر خلا حسنا ... يأتي نشاطي من هنا ومن هنا

وهو كما قلنا له اوصاف بديعة وقوية منها قصيدة قالها حين زار سلمان الفارسي يمدح فيها هذا الصحابي. ويصف في ضمنها الربيع هناك :

قف بالمنازل يمناها ويسراها ... وسرح الطرف ادناها واقصاها
منازل نزلت غر الصحاب بها ... ووابل الغيث وافاها فاحياها
وقد كساها الحيا من نسجه حللا ... والورد بالحسن وشاها وحلاها
تنوع الحسن في ارجائها فلذا ... قلوبنا وقلوب الناس تهواها
لم اترك الدار لولا حسن ساكنها ... ولم افارق حبيب القلب لولاها
فانظر لقيصومها قد مد ساعده ... وآسها ماد حتى طاب رياها
والرند يعبق في الاقطار حين رنت ... كتائب الشيخ فاستغنى برؤياها
والنرجس الغض يرنو نحو نرجسها ... شزراً فيضرب اولاها باخراها
والارض تهتز من جيش الربيع فلا ... تعجب فربك بعد الموت احياها
ونهر دجلة يجري في مجرته ... شعاره كان باسم الله مجراها
والجو يضحك اعجاباً بقدرة من ... بناصع الحسن انشاها وسواها

ومما قاله في الوصف البديع قصيدة وصف بها قصراً احدثه نائب البلد في كربلاء عبد الله أغا في حديقة له في كربلاء ومنها هذه الابيات :

قصر عليه رواق العز مقصور ... وصار النصر في اعلاه منشور
قد اشرقت في الجهات الست قبته ... كأنما هي نور فوقه نور
برج به قمر الابراج مرتفع ... حكت لنا منه جامات وبلور
تأرج الطيب من ذاك الجدار فلا ... تعجب ففيه نثار المسك منثور
تشكلت حوله الاشجار واختلفت ... فالبعض والبعض مرفوع ومجرور
وخيم الزهر في اطرافه فغدا ... كالبدر والروض في اعلاه ديجور
والنرجس الغض يرنو نحو ناظره ... ويفتح الجفن منه وهو مكسور
والطير يصدح والانغام قائمة ... والعندليب له رجع وتكرير

ولما زار النجف سنة [١١٨٣] هـ ورأى قبة الامام الذهبية قال :

لقبة مولانا على أشعة ... تغشى على الابصار والأعين الدعج
فما هي الا برج فضل وقد بدا ... محيا ابي السبطين من ذلك البرج

وله قصيدة تزيد على المائة بيت قرأها في حرم الامام علي

(١) منها قصيدته في مدح استاذه صبغة الله الحيدري

العلم جسم انت عنصر مجده ... والفضل سيف انت جوهر حده

وقد غلط طابع ديوان الازري فنسبها له في الديوان والازري كما نعرف متأخر عن العشاري مقدار [١٥] سنة .

حينما زاره المرة الثانية في سنة الف ومائة وخمس وثمانين وقد كتبها هناك أناس كثيرون وصف في هذه القصيدة جميع المنازل التي مرَّ بها هناك وقد جاء على طريق الحلة ومما قال فيها وقد خرج من خان قبل المحاويل ليتوجه الى المحاويل فالحلة :

ولما بدا الصبح المنير واقبلت ... كتائبه تسعى برايته الشقرا
نهضنا وروينا جميع دوابنا ... بلطف وصلينا بجانبه الفجرا
وسرنا الى خان المحاويل والهوى ... لحب ابي السبطين يقدمنا شهرا
اقمنا بها حتى أتى العصر فانثنت ... الى الحلة الفيحا رواحلنا تترى
نزلنا على قوم كرام بها نشوا ... على الجود والاضياف في دورهم تترى

الى أن يقول بعد أن خرج من الحلة ثم الكفل ثم لاحت امارات النجف :

ولما رأينا الفجر سرنا بسرعة ... الى بلدة ضمت بها الحيدر الطهرا
نزلنا بدار المصطفى وهي التي ... رأينا بها الأفضال والكرم الوفرا
كريم له جود غزير وراحة ... تصب على الاضياف من وبلها قطرا
ومنها أتينا حضرة الطهر حيدر ... اقمنا على باب وجدنا به اليسرى

وعلى كل حال ففي الديوان قطع سامية ودرر ثمينة عالية وغوالي . وقبل ختام هذه الترجمة نورد لك قطعة صغيرة من بعض بنوده كنموذج لأسلوبه في البنود : قال في ضمن بند له في وصف الله ومدح النبي وآله (.. لك النقمة والحمد ، وانت الصمد الفرد ، خلقت الحر والعبد ، لك الأمر بلا رد ، تعاليت عن الرسم ، تجاوزت عن الحد ، فلا أين ولا كيف ، ولا ظلم ولا حيف ، فلا شيء ولا عيب ، بلا شك ولا ريب ، فكم أودعت من سر ، وكم ابدعت من امر ، وكم حيرت من فكر ، غدا فيك حسيرا ، ترى اجنحة الذر ، وما في عظمها قر ، وما في النجم قد حاك وفي الخاطر قد مرَّ ... الخ وهذا البند طويل جداً فيه تخلص الى مدح النبي وفاطمة وعلي واولاده .

والذي يظهر من بنوده ان اكثر من جاء متأخراً عنه عيال عليه وآخذ منه .

عبد الحميد الرميلي

البيان : ان الاستاذ الدجيلي في مواضيعه هذه سيضيع علينا كثيراً من الابحاث التي سهرنا على تحقيقها الليالي الطوال ومنها ترجمة هذا الشاعر . فلم يبق لدينا إلا اكبارهِ واعلاننا حرباً عليه بنشر ما عندنا لنضيع له بعض الجهود التي اضاع علينا مثلها من قبل .

ميامين غسان

احدى المهرجانيات التي انشئت في دار الاستاذ اليعقوبي معتمد جمعية الرابطة وقد القاها الخطيب السيد علي الهاشمي في حفلة (نادي الغري) احتفاء بالوفد السوري . [البيان]

حي الميامين من احفاد غسان ... حلو العراق فحلوا الموطن الثاني
حي الربيعين آذاراً وخلقهم ... جاءا سواءاً فقل جاء الربيعان
إن ظنت الشهب في انوارها سطعوا ... شهبا بآفاق سوريا ولبنان
حلوا فحيتهم الآمال ذاوية ... كما يحي معيناً قلب ظمآن
سعوا يشيدون فوق النجم مجدهم ... على سواعد اشياخ وشبان
ما كان يبلغ شعب ما يؤمله ... اذا وفى يوم تحصيل العلى واني
لا يحسبوا انهم في غير موطنهم ... الموطنان لدى التحقيق سيان
فليس بدعا اذا ما قال قائلهم ... «القوم قومي والاوطان اوطاني»
قل للعراق وقد مدت له (بردى) ... يد الاخاء فحياها (الفراتان)
هذا الغري وقد حياكم جذلا ... طفا عليه سرور الوامق العاني
وراح يعرب عن اخلاصه علنا ... والحب يحسن في جهر واعلان
كل العراق سواء في مودته ... لكم يحييكم قاصيه والداني
بني الشقيقة (والنادي) يؤلفنا ... وما تلاقى هنا الا الشقيقان
هل نحن في الافق زانته الكواكب ام ... في محفل بالوجوه الغر مزدان
وافيتمونا وللأيام منتهبا ... على (الغري) بلقيا خير اخوان
شوق النفوس الى هذي الوجوه ولا ... شوق الطيور الى ازهار نيسان
بني الشقيقة شقوا في السماء لكم ... درباً وشيدوا علاكم فوق كيوان
وارجعوا مجد آباء غطارفة ... هم غرة المجد ما كرَّ الجديدان
ويل الألى حاولوا تفريقنا شيعاً ... بكل مكر وقد آبوا بخسران
ليس العراق وليس الشام لو فطنوا ... سوى بلاد لها ما بيننا اسبان
بني لنا السلف الماضي صروح علا ... فلنعل يا قوم ما قد اسس الباني
تأرج النجف الأعلى بمنطقكم ... تأرج الارض في روح وريحان
وثغر كوفان فيكم عاد مبتسما ... يا من رأى الشام حلت ثغر كوفان
بني الشقيقة والانساب شاهدة ... ان العراقي شامي ولبناني
حتام نغرس والاعداء ما برحت ... تجني الثمار الا شلت يد الجاني
جئتم فهاكم تحيانا معطرة ... بذكر اكرم اخوان واخدان
والكل يهتف في تكريم موكبكم ... حي الميامين من احفاد غسان
يحي العراق وتحيا الشام حافلة ... بالبشريات ويحيا [فيصل الثاني]